عظماء مجهولون

٦

تجد عدداً من قصص وسير الصحابة
رضوان الله عليهم
في موقع المفكرة الدعوية
www.dawahmemo.com

سهيل بن عمرو

رضي الله عنه

محمود شاكر

المكتب الإسلامي

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

المكتب الاسلامي
بيروت: ص.ب ١١/٣٧٧١ - هاتف ٤٥٠٦٣٨ - برقياً: اسلامياً
دمشق: ص.ب ٨٠٠ - هاتف ١١١٦٣٧ - برقياً: اسلامي

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد : فإن أكثر زعماء قريش الذين كانوا وقت ظهور الإسلام قد وقفوا في وجه الدعوة ، ولكن من أسلم منهم قد ارتفع اسمه وطارت شهرته، وهو لا يريد ذلك ، ومن أبى واستكبر ، وأصرّ على وثنيته وكفره فقد غدا في عداد المغمورين مهما كان مركزه ، وهو يريد الزعامة ، ويسعى لها .

وعندما جاء فتح مكة ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، ودان بالإسلام من بقي من الزعماء حتى تلك الآونة ، وقد أطلق على أولئك المسلمين الجدد اسم « الطلقاء » بعد أن قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذهبوا فأنتم الطلقاء » ، كان حظ الأعيان منهم في الظهور قليلاً بسبب تأخرهم في الإسلام إذ فاتهم الركب حيث كان الموكب الإسلامي قد انطلق ولمع رجاله وارتفع ذكر أبنائه حتى الذين كان الوجهاء يرفضون اللقاء بهم والاجتماع معهم، ومن هؤلاء الأعيان الطلقاء سهيل بن عمرو الذي أسلم ابناه

والوجيه بينهم والرئيس عليهم .. إلا أنه لما أسلم لم ينل يرغب ما كان يتمناه في الجاهلية من الشهرة وعلو المكانة ... ومع ذلك حفظ له الإسلام شيئاً من المعرفة والذكر ، ولولا دخوله في الإسلام لضاع فيمن ضاع ونسي كما نسي غيره أمثال أولئك الزعماء الذين مات اسمهم بموتهم وزالت شهرتهم بزوالهم وفني مجدهم بفنائهم وإذا حفظ التاريخ لنا بعض الأسماء فإنما لكون أصحابها أئمة الكفر ، ويعرف الأمر بنقيضه ، والعمل بضده .

والله نسأل الجنة وما يقرّبنا إليها من قول وعمل ، ونعوذ به من النار وما يقربنا إليها من قول وعمل ، كما نطلب منه جلّ شأنه سداد الخطا ، والقول الحق ، والنجاح في الآخرة ، وأن تكون أعمالنا خالصة لوجهه الكريم ، فهو نعم المولى ونعم النصير ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

* * *

سهيل بن عمرو
رضي الله عنه

هو أبو يزيد ، سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسن بن عامر . وبنو عامر أحد بطون قريش الأثنى عشر المعروفة ، والتي امتازت بالشجاعة ، وعرفت بالحكمة ، ولعلّ أشهر رجالهم البارزين وقت ظهور الإسلام هو سهيل بن عمرو هذا ، وقد اشتهر بالثبات والخطابة حتى عدّ خطيب قريش المفوّه ، والناطق باسمها في الملمات .

١- في الجاهلية

شعّ نور الإسلام في مكة ، ووصلت أشعته إلى كل بيوتات قريش تقريباً ، ودخل سنا من شعاعـــه إلى ديار بني عامر ، فأسلم إخوة سهيل وهم : سليط والسكران وحاطب ، وأسلم ولده عبد الله ، وأسلمت ابنتاه سهلة زوج أبي حذيفة بن عتبة ، وأم كلثـــوم زوج ابن عمه أبي سَبرة بن أبي رُهم ، وأسلمت ابنة عمه سودة بنت زمعة زوجة أخيه السكران ، وابن عمه أبو سبرة بن أبي رهم، وختنه أبو حذيفة بن عتبة ، وعدد من بني عامر ، ولكـــنّ سهيلاً أصرّ على ما هو عليه من الوثنية والشرك ، واستكبر ، وحـــاول أن يقف في وجه إخوته ، ولكن أبىّ له ، وهم الأكثر عدداً ، وما كان له إلاّ أن يسكت على مضضٍ ، مكرهاً ، وبخاصةٍ أنه أحد رجال بني عامر المعدودين ، وأحد الزعمـــاء المشهورين . فوقف بجانب وجهاء مكة يذودون عن آلهتهم من اللات والعزى ، وهم سدنتها ، يحمونها ، وهم عبدتها ، ويدافعون عن الباطل ، ويقفون في وجه الحق خوفاً على مصالحهم ، إذ أن في انتشار الإسلام وأد لتلك الآلهة من الاصنام ، وخلاص من العبودية لها ، وقضاء على تلك الزعامات من الطواغيت ، وانتهاء من أهواء نفوس الظالمين وتحقيق رغباتها بما تشتهي دون أن يقف أحد في طريقها، وتخلّص

من الربا التي أثرت منها بعض الرجالات فعاثت الفساد بثرائهـا ، وداست على الانسانية بغناها ، كما في انتشار الاسلام تخلّص من أولئك الصعاليك الذين أقضوا مضاجع الآمنين لفقرهم وبؤسهم الأمر الذي نبذتهم منها القبيلة ، ولفظهم المجتمع .

وبدأ ضغط المشركين على مـن أسلم من ذويهم ليبقى الغني على نفوذه ، وليستمر الصعلوك في تسلطه ، ونال بعض آل عامر ما نالهم من أذى سهيل ، حتى إذا ضاق المسلمون ذرعاً بما حلّ بهم من الأذى أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوجه نحو الحبشة حيث فيها حاكم لا يظلم عنده أحد .

سار الموكب الإسلامي إلى الحبشة ، وفيه أخـوه حاطب ، وكان أول مـن وصل إليها من المسلمين ، كما كان في هذا الموكب أخواه سليط ، والسكران مع زوجه سودة بنت زمعة ، وفيه ابنه عبد الله ، وأبناء عمومته أبـو سبرة بن أبي رُهم ، وعبد الله بن مخرمة ، ومالك بن زمعة مع زوجه ابنة عمرة عمه بنت السعدى ، وفيه ابنتاه سهلة ،وأم كلثوم ، وصهره أبو خذيفة .

ما لبث أن عاد بعض مهـاجري الحبشة ، وفيهم أكثر بني عامر ، فلما رجعوا إلـى موطنهم قبض سهيل على ابنه عبد الله ، وحبسه ، وأوثقـه عنده ، وفتنه عـن دينه ، حتى كان يوم بدر ، فأسر سهيل بن عمرو يومذاك ، الأمر الذي جعل عبـد الله يخرج مهاجراً ، حيث شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهـد كلها التي وقعت بعد بدر .

وأشتد أذى قريش على من أسلم منهم ، ولكن الإسلام كان قد بـدأ ينتشر في يثرب ، فأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه أن يتوجهـوا إلى يثرب ، ثم لحقهم عليـه الصلاة والسلام مهاجراً ، وهنـاك تأسست الدولـة الإسلامية الأولى ، وبدأت تعمل على اثبات كيانها ، فصارت تعترض طريق قـوافل قريش إلى الشام ، إلى أن كانت غزوة بدر الكبرى بين الجانبين ، وكانت فرقاناً بين الحق والباطل ، إذ قتل فيها كبار المشركين وطغاة الكفر أمثال أبي جهل عمرو بن هشام المخزومي ، وأمية بن خلف ، وعتبة بن ربيعة، وحنظلة بن أبي سفيان، كما أسر بعض صناديدهم ومنهم سهيل بن عمرو ، وقد أسره مالك بن الدخشم .

ودُفن القتلى ، وسيق الأسرى إلى المدينة ، وقال سهيل بن عمرو يومذاك معللاً أسره ، ومعتذراً عما تمّ له « رأيت رجالاً بيضاً على خيلٍ بلـق بين السماء والأرض معلمين ، يقتلـون ، ويأسرون » . ومع هذا الذي رآه ، وأيقن بأنه من عند الله ... إلا أن الكفر لم يزل يملأ جوانحه ، فأصرّ واستكبر ، ولكنـه أسير .

وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فيما يفعلـه بالأسرى ، فرأى أبو بكر رضي الله عنه أن يعفو عنهم ، وأيـده بعض الصحابه ، ورأى عمر بن الخطاب أن يقتلهم بل اقترح أن

وغيرهما . ومال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رأي أبي بكر، يقتل كل رجل أقرب الناس إليه حتى يعلم الخلق جميعاً أنه لاصلة بين المسلم والكافر أبداً ، فكل وشائج القربى وصلات الرحم تزول أمام العقيدة ، وأيده سعد بن معاذ وعبد الله بن رواحة وبدأ يقبل فداء الأسرى .

ورأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرة سهيلاً في الأسر ، فنظر إليه ، وتذكر مواقفه في عداء الإسلام ، فقال عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يارسول الله ، دعني أنزع ثنيتي سهيل بن عمرو ، فيدلع لسانه ، فلا يقوم عليك خطيباً في موطن أبداً . فأجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا أمثّل به فيمثّل الله بي ، وإن كنت نبياً ، ثم أضاف : إنه عسى أن يقوم مقاماً لاتذمه .

وجاء مِكْرز بن حفص في فداء سهيل ، واتفق مع المسلمين على مال يؤديه سهيل ، فعندما طالبوه بالدفع ، قال مكرز : اجعلوا رجلي مكان رجله ، وخلّوا سبيله حتى يبعث إليكم بفدائه ، فخلّوا سبيل سهيل ، وحبسوا مكرزاً مكانه عندهم ، وعندما وصل سهيل إلى مكة أرسل الفداء ، وأطلق سراح مكرز.

ومرت الأيام بعضها إثر بعض ، وقوة المسلمين في تزايد ، ووضع المشركين في تراجع ، وهم يحاولون تجميع القبائل ، وتحزيب الأحزاب ، ويهود من ورائهم تحرّض الناس ، وتثير الفتن ، وكانت غزوة أحد ، ونالت قريش من المسلمين ، ولكنها لم تحرز النصر الذي تريد ، إلا أن ذلك قد أطمع الأعراب في

ولا تقف لهم قريباً . وإنما استمروا في [illegible]
ثم كانت غزوة الأحزاب التي جمعت لهـا قريش كـل طاقاتها ، والأعراب كل امكاناتهم ، ويهود كل مكرهم ، وكانت النتيجة أن فشل الجميع ، ونصر الله عباده المؤمنين • وكانت هذه المعركـة آخر سهم للمشركين إذ تفرقت كلمتهم فيمـا بعـد ، وخضدت شوكتهم ، على حين كانت بدءاً لتوسع المسلمين وازدياد نشاطهم •

في الحديبية :

رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزور البيت الحرام ، وقد زاد إليه شوقه ، فقـد مضى على فراقـه له سنوات ست ، وطلب من المسلمين أن يتأهبوا لذلك بعد أن رأى في منامه مارأى •

انطلق الركب الإسلامي يتحرك نحو مكـة بإمرة الرسول الكريم ، وقد ساق الهدي أمامـه ، وأحرم بالعمرة ، وأغمـدت السيوف ، ليأمن الناس من حربه ، وليعلموا أنه إنما خرج زائـراً للبيت ، ومعظماً له • انطلق الركب بانقياد تام لنبيهم عليه الصلاة والسلام وبخشوع عام لله جلّ شأنه •

وعلمت قريش بمسير المسلمين ، فاستعدت لذلك ، واجتمعت بذي طوى شمال مكة ، وقد عاهـدت الله ألا يدخلهـا المسلمون أبداً ، على حين أنها كانت مفتوحة لمن أراد مـن العرب أن يأتي معتمراً زائراً معظماً ، ولكنها لا تسمح للمسلمين أبداً ، لقد أكلت

الحرب قريشاً ، فدفعت خالد بن الوليد ــ وكان لا يزال على شركه ــ بالخيل أمامها . ولما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان من قريش ، انعطف نحو اليمين حتى لايصطدم بخالد أو بأحد ، فالمسلمون محرمون ، وما جاءوا لقتال . واستمر في سيره حتى نزل الحديبية ، وقد بركت ناقته ، فقال الناس : خلأت القصواء ، فقال عليه الصلاة والسلام : ماخلأت، وما هو لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة . لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها .

وجاءت رسل قريش الواحد تلو الآخر ، وكلهم يتأكد أن المسلمين ما جاءوا إلا زائرين ، ومع ذلك فإن قريشاً قد أصرّت على منعهم ، وقالت : لا يمكنهم أن يدخلوا مكة علينا عنوة فتتحدث العرب بذلك .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولاً من قبله الى قريش ، فعقروا به جمله ، وأرادوا قتله . وقبض المسلمون على خمسين رجلاً أتوا من قبل قريش ليصيبوا من المسلمين ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلّى سبيلهم ، ثم بعث عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى قريش ليخبرها أن رسول الله ما جاء إلا زائراً للبيت ومعظماً ، وانتشر خبر بين المسلمين مفاده أن عثمان رضي اللهعنهقدقتل،ولما وصل الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لانبرح حتى نناجز القوم ، وبايع الصحابة بيعة الراضون ، ثم انجلى الخبر ، وتبيّن أن عثمان حي .

له : ائت محمداً فصالحه ، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع هـذا العام عن مكة دون أن يدخلها .

جاء سهيل ، وقـال أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأطال القول ، ثم جرى بينهما الصلح ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال : اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم .

فقال سهيل : لا أعرف هذا ، ولكن أكتب : باسمك اللهم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب باسمك اللهم . فكتبها علي .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب : هذا ماصالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو .

فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب : اسمك واسم أبيك .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب : هذا ما صالح عليه محمـد بن عبد الله سهيل بن عمرو ، اصطلحـا على وضـع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس . ويكفّ بعضهـم عن بعض ، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه ردّه عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردّوه عليه ، وإن بيننـا عيبة مكفوفة ، وأنه لا إسلال ولا إغلال ، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمدٍ وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخـل في عقـد

قريش وعهدهم دخل فيه . فتواثبت خزاعة فقالوا : نحن في عقد محمد وعهده ، وتواثبت بنو بكر ، فقالوا : نحن في عقد قريش وعهدهم . وأنك ترجع عنا عامك هذا ، فلا تدخل علينا مكة ، وأنه إذا كان عام قابل ، خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك ، فأقمت بها ثلاثاً . معك سلاح الراكب ، السيوف في القرب ، لا تدخلها بغيرها .

فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو ، إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في الحديد ، قد انفلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله وسلم خرجوا وهم لا يشكون في الفتح ، لرؤيا رآها رسول الله صلى الله وسلم ، فلما رأوا مارأوا من الصلح والرجوع ، وما تحمل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم ، حتى كادوا يهلكون ، فلما رأى سهيل ابنه أبا جندل ، قام إليه فضرب وجهه ، وأخذ بتلبيبه ، ثم قال : يامحمد ، قد لجّت القضية بيني وبينك ، قبل أن يأتيك هذا ، قال : صدقت ، فجعل ينتره بتلبيبه ، ويجرّه ليردّه إلى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يامعشر المسلمين ، أأردّ إلى المشركين يفتنوني في ديني ؟ فزاد ذلك الناس إلى ما بهم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا جندل ، اصبر واحتسب ، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً

ذلك ، واعطونا عهد الله ، وإنا لا نغدر بهم . فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشي إلى جنبه ، ويقول : اصبر يا أبا جندل ، فإنما هم المشركون ، وإنما دم أحدهم دم كلب ، ويدني قائم السيف منه ، يقول عمر : رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه ، قال : فضنّ الرجل بأبيه . ونفذت القضية .

وكان عبد الله بن سهيل بن عمرو ممن شهد على الصلح ، وكان مع المسلمين .

وتوسع انتشار الاسلام ، وفتحت خيبر ، وانتهت جبهة اليهود ومؤامراتهم ، ونازل المسلمون الروم في مؤتة ، وأمنوا مكرهم .

ونقضت قريش ما عاهدت عليه في الحديبية ، ودعمت بني بكر ، وشجعتها على قتال خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووصلت وفودها إلى المدينة ، فوعدها رسول الله خيراً .

٢ - في الإسلام

وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة فاتحاً ، ومعه جيشه اللجب الذي يزيد على عشرة آلاف مقاتل ، وكان قد سبقه إليها أبو سفيان بعد إسلامه ، وصرخ بأعلى صوته : يامعشر قريش، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن . كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أمراءه ألا يقاتلوا إلا من قاتلهم ، إلا أنه قد عهد إلى نفر سمّاهم ، أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة .

فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة، واطمأن الناس، خرج حتى جاء البيت ، فطاف به سبعاً على راحلته ، فلما قضى طوافه ، دعا عثمان بن طلحة ، فأخذ منه مفتاح الكعبة ، ففتحت له ، فدخلها ، وحطّم الاصنام ... ثم وقف على باب الكعبة فقال: « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ألا كل مأثرة أو دم أو مال تدعى فهو تحت قدمي هاتين ، إلا سدانة الكعبة وسقاية الحاج » .

يامعشر قريش ، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية ، وتعظّمها بالآباء ، الناس من آدم ، وآدم من تراب ..

وهنا وقف خطيب قريش سهيل بن عمرو رضي الله عنه ، وقد تمثلت له صورة الرجل المسلم ، مع ما في ذهنه من أعمال قريش ووقوفها أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتعنتها ، وكفرها ، وقتالها وتعذيبها لأولئك النفر من المسلمين الأوائل ، فقال — وهو الواثق برسول خيراً — أخ كريم ، وابن أخ كريم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا أقول لكم كما قال أخي يوسف لإخوته : لا تثريب عليكم ، يغفر الله لكم ، ثم قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

وفتحت مكة ، ودخل أهلها في الإسلام ، دخلوا بصور وأشكال مختلفة ، منهم من بدا لهم الحق واضحاً جلياً فأسلم ، وهو الغالب ، ومنهم من رأى الناس قد أسلموا فخضع ، ومنهم ما كان دون ذلك لم تتوضح له الطريق بعد فأبى واستكبر ، وأصرّ على ما هو عليه من الوثنية والشرك ، وخرج من مكة مغاضباً ، وظنّ أن لن يقدر عليه المسلمون ، فإذا به يأتي مسلماً من بعد ما رأى الآيات أثناء فراره فعاد ، وقد رأى العفو والإكرام .

أما سهيل بن عمرو فقد اختفى بعد أن حضر خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم العامة في المسجد ، إذ خاف من نفسه ألا تصبر ، وجاء ابنه عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : يارسول الله ، تؤمنه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم هو آمن بأمان الله ، فليظهر ، ثم قال رسول الله لمن حوله : من رأى

سهيل بن عمرو فلا يشدّ إليه النظر ، فلعمري إن سهيلاً له عقل وشرف .

ثم إن الحجب ازيلت عنه تماماً ، الحجب كلها التي كانت تحول بينه وبين النور ، وفتحت المنافذ كل المنافذ التي بينه وبين العالم الخارجي ، ودخل منها النور بصورةٍ قويةٍ فجلا كل ما كان قد ران على قلبه ، وظهر كل شيء على حقيقته ، وخرج سهيل من جلده جديداً ، فألقى ما كان يحمل على دِمَن مكة ، ونفسه تعافه ، وابتعد عنه ، وسار في ركب المسلمين .

وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو هوزان وثقيف اللتين اجتمع أفرادهما لغزو المسلمين ، وسار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمو مكة الجدد ، ولكنهم لم يستطيعوا الثبات في حنين لمفاجئة العدو لهم ، ولكثرة عدده ، ولعجبهم بزيادة عددهم التي لم تغن عنهم شيئاً ، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت فولوا مدبرين ، إلا أنهم لم يلبثوا أن ثابوا إلى رشدهم ، بعد أن سمعوا صوت العباس بن عبد المطلب يناديهم للالتفاف حول نبيهم ، فرجعوا ، وصمدوا ، وانتصروا على عدوهم ، وأخذوا الغنائم الكثيرة الكثيرة ، فجمعت في منطقة الجعرانة ، ولم انته حصار الطائف وزع رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الغنائم ، فأعطى وجهاء المسلمين الجدد ، والمؤلفة قلوبهم العدد الوفير ، على حين ترك الأنصار دون عطاء معتمداً على إيمانهم ، وكان سهيل بن عمرو رضي الله عنه من أولئك الزعماء الذين أخذ كل واحد منهم مائة بعير .

لم يظل فيها ، إذ عاد إلى مهجره بالمدينة مع أصحابه المهاجرين والأنصار ، وبقي سهيل بمكة ثم انتقل الى المدينة وسكنها ، ولم تمض إلا أشهر قليلة حتى جاء خبر انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى ، وترك مسؤولية الدعوة ومهمة الجهاد إلى المسلمين أنفسهم ، يتصرفون كما يشاءون معتمدين على ما تركه لهم : كتاب الله وسنة نبيه .

وارتدت أكثر العرب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم باستثناء مكة والمدينة والطائف ، بعضهم من امتنع عن دفع الزكاة، وعدّها ضريبة يقدمها لقريش ، وبعضهم من عدّ الاسلام دين قريش ، وقد خضع له بالقوة أيام محمد ، وقد مات محمد ، وعليهم الآن أن يتحرروا من هذا الخضوع ، ومنهم من ثارت عندهم العصبية الجاهلية ، وأخذتهم الحمية ، فرؤوا أن يستقلوا بقبائلهم ، وقد استهوتهم النبوة فادعاها عدد من زعماء القبائل .

وفي مكة همّ كثير من أهلها بالرجوع عن الإسلام ، وأرادوا ذلك ، حتى خافهم عتّاب بن أسيد والي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر على مكة ، فتوارى ، فقام سهيل بن عمرو رضي الله عنه فخطب الناس فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة ، فمن رابنا ضربنا عنقه . فتراجع الناس وكفوا عما هموا . ولعل هذا الموقف الذي أراده رسول الله صلى الله عليه عندما أجاب عمر

ابن الخطاب رضي الله عنه «لعله يقوم مقاماً لا ترده عليه» . وكانت خطبته قريبة من خطبة أبي بكر الصديق يومذاك رضي الله عنه .

ونظر سهيل بن عمرو إلى ماضيه وما فيه من مواقف ضد الإسلام . فندم على ما كان منه ، وأخذه الخوف الشديد من الله ، فقال : « والله لا أدع موقفاً وقفته مع المشركين إلا وقفت مع المسلمين مثله، ولا نفقة أنفقتها مع المشركين إلا أنفقت على المسلمين مثلها لعل أمري أن يتلو بعضه بعضاً » .

ووقف المهاجرون والأنصار على باب أمير المؤمنين ، يأذن لهم على قدر منازلهم ، ومعهم جماعة من الطلقاء من أهل مكة بينهم سهيل بن عمرو ، فنظر بعضهم إلى بعض ، كأنهم شعروا أن أمير المؤمنين لم يرع لهم حقهم ، ولم يحفظ لهم مركزهم ، فقال لهم سهيل رضي الله عنه : على أنفسكم فاغضبوا ، دعي القوم ودعتيم، فأسرعوا وأبطأتم ، فكيف بكم إذا دعيتم إلى أبواب الجنة.وهكذا فقد كان يرى أفضلية السابقين في الإسلام مهما كان وضعهم الاجتماعي فبلال وصهيب وعمار أفضل من أبي سفيان وعكرمة وصفوان وسهيل بن عمرو مع أنه كان في الجاهلية يرى هؤلاء أدنى من أن يجلس معهم ... لقد خلع من نفسه يوم أسلم كل ما علق فيها من آثار الجاهلية ، وألقاها بعيداً عن فكره ، وعن ذاته ، وعن كل ما يتعلق فيه .

ووقف مرة يتأمل بماذا يكفر عن جاهليته ومواقفه التي سبق أن وقفها ، وتداعى إلى ذهنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم

عادت مكة داراً للإسلام ، فلماذا الهجرة ؟ إذن الجهاد وحده وسيله التكفير عن السابقة . وتذكر « مقام أحدكم في سبيل الله ساعة من عمره خير عمله عمره في أهله » . فقال سهيل رضي الله عنه : « فإني أرابط حتى أموت ولا أرجع إلى مكة » وبالفعل فقد سار الجهاد ، ولم يزل مقيماً بالشام حتى توفي على أغلب الظن في طاعون عمواس سنة ثماني عشرة من الهجرة .

وانطلقت كتائب المسلمين في كل جهات الأرض ، فانخرط في صفوفها بين الرجال بشكل هادىء ، وكأنه لا يريد أن يعرف ، لا يريد أن يعرف خجلاً بماضيه ، لا يريد أن يعرف حتى يبلو في القتال دون ذكر ، لا يريد أن يعرف حتى لا يراه الشباب ، وهو الشيخ . فيقدمونه ، لا يريد أن يعرف وهو رجل القيادة ، وصاحب الزعامة ، وأهل الوجاهة .

كان الجيش إلى الشام يستعد ، وقد سبقه سهيل في الاستعداد . ووقف ينتظر ، ولكن نفسه قد سبقته إلى المعركة ، ممن ينظر إليه يراه يتحفز ، ويتحرك بجسمه كله ، وكأنه في ارض المعركة . يريد أن يطير إلى العدو يصاوله قبل أن يتحرك إلى الجيش ، يرغب في الحصول على الشهادة أو الشهادة ترغب في استقباله .

يتقدم الجيش ببطىء وئيدة ، ويريد هو أن يخطو خطوات سريعة . ولكن يوقفه الايمان بالالتزام . ويحدّ من سيره النظام

فتهدأ نفسه ، ويعود إلى دنيا حقيقته جندياً مطيعاً .

ويلتقي الجيشان ، جيش الكفر يحمل وجوهاً صفراً رأت الموت ، وقد سيقت إليه قسراً ، وحملت إلى الحرب قهراً ، وجيش الايمان يحمل وجوهاً متوردة تريد أن تستقبل الموت لتظفر بالشهادة ، وقد اندفعت إليه اندفاعاً ، أو لتحصل على النصر ، وقد جاءت تسعى إليه لترفع راية الاسلام ، ويريد سهيل أن يسارع العدو ، ويبدأ بالطعان ، ولكن لابدّ من اتباع طريقة الإسلام في الحرُوب ، فلا قتال حتى تعرض على الاعداء عروض المسلمين وهي الاسلام وعندئذ يصبح الجميع إخوة في الله ، ويرجع المسلمون عنهم ، ويدعم بعضهم بعضاً ، وإما أن يقبلوا بدفع الجزية ، وعندها يكون من واجب المسلمين حماية الذميين ، هؤلاء الذين أصبحوا في ذمة ــ عهد ــ الله ورسوله ، وإما السيف حتى يحكم الله بين الفريقين . وما يختار العدو الأمر الأخير إلا ويقع في نفس سهيل الموقع الحسن ، يريد أن يبدأ القتال ، ولكن ليس هو القائد ، والقتال لا يكون إلا برأي القائد وأوامره ، فإذا ما بدأ الاشتباك لم تعد تستطع رؤية سهيل ، فهو ينتقل بين الصفوف ، ويجالد الابطال ، ويتقدم إلى الكتائب فتبتعد من أمامه الرجال وتخافه وهي التي لم تعرف الخوف ، ويتقدم بين الاعداء ، ويخوض بين صفوفهم لا يرده إلا أمر من قائد أو طلب من أمير أو إعلان الاستسلام وإنهاء القتال .

وخاض سهيل معارك كثيرة ينتقل من واحدةٍ إلى أخرى ،

له ما قد سبق أن فعل في جاهليته ، فأمله كبير ، ورجاؤه واسع . ولكن خوفه عظيم ألا يغفر ذلك له ما قد سلف ، وإن كان يضع نصب عينيه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم «الإسلام يجبّ ما قبله » .

وشهد اليرموك ، وكان على رأس أحد الكراديس ، وقد أبلى البلاء الحسن ، وكان من الذين تقدموا في صفوف الاعداء : يطلبون الشهادة ، حتى وردت رواية أنه استشهد يومذاك لكثرة ما ناله من جروح ، وما عرّض نفسه إليه ، كما المعارك التي دارت بعدها ، إلى أن كانت سنة ثماني عشرة حيث انتشر طاعون عرف باسم طاعون عمواس نسبة إلى البلدة التي ظهر فيها أول ما ظهر وهي غرب بيت المقدس بقليل ، فمات فيه ، كما مات ابنه أبو جندل ، أما ابنه عبد الله فقد سبقهما في الشهادة إذ ظفر بها في حروب المرتدين يوم اليمامة ، وكان سبقه في الشهادة كسبقه لهما في الإسلام .

هذه ساحات جهاد سهيل بن عمرو في المعارك، أما في جانب العلم فقد حرص أن يتفقه، وحرص على الصيام والقيام، إذ بقي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ماثلاً أمامه « خياركم في الجاهلية خياركم

في الإسلام إذا فقهوا » . فقد صام وقام حتى شحب لونه ، ويقول ابن كثير «كان سمحاً جواداً فصيحاً كثير الصلاة والصوم والصدقة وقراءة القرآن والبكاء » . رضي الله عن سهيل بن عمرو فقد مات وهو بين الخوف والرجاء .

* * *

الفهـرس

مقدمـة	٣
١ ــ في الجاهلية	٥
في بـد	٧
في الحديبية	٩
٢ ــ في الاسلام	١٤